دراسة عقدية لقوله تعالى

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾
قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا
وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ المائدة: ١١٢ – ١١٣

إعداد الباحثة :

حنان بنت مسلم بن مرزوق السفياني

جامعة أم القرى – قسم العقيدة

عام ١٤٣٦هـ

من ١٩١ إلى ٢٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده ، أما بعد :

فإن خير المناهل كتاب الله ، به سلوة الأحزان ، و هداية الحيران ، و سعادةٌ للعبد ما تعاقب الملوان، هو المائدة التي لا تُمل ، و لا يُعاب من استزاد منها و لا يُذم ، و هو النور الذي لا يخبو ، و لا يخيبُ من استنار به و لا يَضل ، من عاش معه ذاق الحياة الحقيقية التي لا تباع بغالي الأثمان و لا تضاهيها حياة، و من حرمه كان ضحكه زيفًا و سعادته وهمًا ، و عاش قلقًا خاوي الروح ، ناقص التكوين ، جائع القلب ، و من ذاق جوع القلب من أين يشبع ؟!

هو الكتاب المحكم الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾فصلت: ٤٢، وصف الله تعالى آياته بالإحكام فقال عز من قائل : ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾هود: ١ وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾النساء: ٨٢ ، لا اختلاف بين آياته و لا تعارض ، يصدق بعضه بعضًا كما وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾الزمر: ٢٣، و على هذا فإن القارئ المتأمل له يعلم يقينًا أنه على هذا الوصف من الإحكام لا يمكن أن يكون فيه تعارضٌ و لا اختلاف ، و أن ما يستشكله و يتصور فيه التعارض أو الاختلاف لا بد له من حلٍّ يزيل هذا الإشكال ، و لكن قد يؤتى المرء من قصور علمه ، و عواقب ذنبه .

و في هذا الإطار كانت الدراسة في هذا البحث منصبةً على دراسة بعض النصوص المشكلة من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم .

و قد تم اختيار هاتين الآيتين الكريمتين في هذا البحث لدراسة الإشكال الوارد في قول الحواريين لعيسى عليه السلام : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾المائدة: ١١٢ و في قولهم : ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ المائدة: ١١٣ و المتمثل في المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى : هل كان الحواريون شاكين في قدرة الله عزوجل على أن ينزل عليهم مائدةً من السماء؟، و إذا لم يكونوا شاكين فما تفسير الآية ، أو ما معنى قولهم فيما حكى الله عنهم {هل يستطيع ربك}؟

المسألة الثانية : هل كان الحواريون شاكين في صدق عيسى عليه السلام و نبوته ؟ و إن لم يكن فما معنى { و نعلم أن قد صدقتنا } ؟

و ينضاف إلى ذلك دراسة ما في الآيتين من مسائل عقدية أخرى تدل عليها أو يمكن استنباطها منها، و ذلك تحت عنوان :

دراسة عقدية لقوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾المائدة: ١١٢ ــ ١١٣

وفق التقسيم التالي للبحث :

– مقدمة : في بيان أهمية الموضوع ، و أسباب اختياره ، و المنهج المتبع في دراسته ، و خطة البحث .

– مدخل :

في التعريف بالحواريين .

- المبحث الأول :

في وجه الإشكال في الآيتين و حله .

- المبحث الثاني :

مسائل عقدية أخرى في الآيتين .

- نتائج البحث .
- فهرس المصادر و المراجع .
- فهرس الموضوعات .

متبعةً في ذلك منهج الاستقراء و الوصف و التحليل و النقد .

باذلةً في ذلك جهدي ما استطعت ، سائلةً الله تعالى الهداية و التوفيق لما اختلف فيه من الحق بإذنه فهو الهادي إلى سواء السبيل يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم ، فاللهم اهدنا و ألهمنا رشدنا وقنا شر أنفسنا ، و لا تحرمنا بذنوبنا فضلك ، و اجعل عملنا خالصًا لوجهك ، و حجةً لنا عندك وذخرًا، سبحانك لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين ، و صل اللهم و سلم على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين .

مدخل : في التعريف بالحواريين .

قال ابن فارس في مادة " حور " : (الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخَر الرُّجوع، والثالث أن يدور الشيء دَوَراً ... ويقال لأصحاب عيسى عليه السلامُ الحواريُّون؛ لأنهم كانوا يحوِّرون الثِّياب، أي يبيّضونها. هذا هو الأصل،

ثم قيل لكلِّ ناصر حَوَاريٌّ. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "الزُّبير ابنُ عمَّتي وحَوارِيَّ من أمّتي")[١].

و الحواريون هم أصحاب عيسى عليه السلام ، و أتباعه و أعوانه و أنصاره[٢]، و قد ذكر ابن جرير الطبري رحمه الله اختلاف المفسرين في سبب تسميتهم بهذا الاسم إلى ثلاثة أقوال :

الأول: أنهم سموا بذلك لبياض ثيابهم . وممن قال بهذا سعيد بن جبير كما رواه عنه الطبري فقال : (حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال: مما روى أبي قال، حدثنا قيس بن الربيع، عن ميسرة، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير قال: (إنما سمُّوا"الحواريين"، ببياض ثيابهم)[٣].

الثاني: أنهم سموا بذلك لأنهم كانوا قَصّارين يبيِّضون الثياب ، و حكى ابن جرير الطبري عمن قال بذك فقال: (حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن أبي أرطأة قال:"الحواريون"، الغسالون الذين يحوّرون الثياب، يغسلونها)[٤].

الثالث : أنهم خاصّة الأنبياء وصفوتهم ، قال ابن جرير : (حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا ابن علية، عن روح بن القاسم، أن قتادة ذكرَ رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كان من الحواريين. فقيل له: من الحواريُّون؟ قال: الذين تصلح لهم الخلافة)[٥].

---

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس (٢/ ١١٦) .

(٢) ينظر في ذلك : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي (ص ٢٤٨) .

(٣) جامع البيان ، الطبري (٦/ ٤٥٠) .

(٤) جامع البيان ، الطبري (٦/ ٤٥٠) .

(٥) جامع البيان ، الطبري (٦/ ٤٥٠) .

و قال : (حدثت عن المنجاب قال، حدثنا الحسين قال، حدثنا بشر، عن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك في قوله:"إذ قال الحواريون"، قال: أصفِياء الأنبياء)[١].

ثم قال : (وأشبه الأقوال التي ذكرنا في معنى"الحواريين"، قولُ من قال:"سموا بذلك لبياض ثيابهم، ولأنهم كانوا غسّالين" .

وذلك أن"الحوَر" عند العرب شدة البياض، ولذلك سمي"الحُوَّارَى" من الطعام"حُوّارَى" لشدة بياضه، ومنه قيل للرجل الشديد البياض مقلة العينين"أحور"، وللمرأة"حوراء". وقد يجوز أن يكون حواريو عيسى كانوا سُمُّوا بالذي ذكرنا، من تبييضهم الثيابَ، وأنهم كانوا قصّارين، فعرفوا بصحبة عيسى، واختياره إياهم لنفسه أصحابًا وأنصارًا، فجرى ذلك الاسم لهم، واستُعمل، حتى صار كل خاصّةٍ للرجل من أصحابه وأنصاره:"حواريُّه"، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم "إنّ لكلّ نبيَ حواريًّا، وَحوَاريَّ الزبير" يعني خاصته)[٢].

و قد أثنى الله تعالى عليهم و ذكرهم في كتابه بالإسلام و الإيمان و أنهم أنصار عيسى عليه السلام فقال سبحانه : ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾آل عمران: ٥٢ ، قال السعدي رحمه الله : (فجمعوا بين الإسلام الظاهر، والانقياد بالأعمال الصالحة، والإيمان الباطن المخرج لصاحبه من النفاق ومن ضعف الإيمان)[٣].

---

(١) جامع البيان ، الطبري (٦/٤٥٠) .

(٢) جامع البيان ، الطبري (٦/ ٤٥٠ –٤٥١) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي (ص ٢٤٨) .

وقال جل شأنه : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ المائدة: ١١١، وقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ الصف: ١٤ .

المبحث الأول : وجه الإشكال في الآيتين و حله .

لما كان حال الحواريين كما سبق ذكره عنهم من مكانةٍ و منزلة ٍ و منزلة الدين عندهم ، فقد كان الإشكال في أنه كيف يتأتى منهم – مع هذه المكانة و هذه المنزلة و الإيمان – الشكُّ في قدرة الله تعالى أو في نبوة عيسى عليه السلام ؟ ، و نتناول الحديث عن هذا من خلال المسألتين التاليتين :

المسألة الأولى :

هل كان الحواريون شاكين في قدرة الله عزوجل على أن ينزل عليهم مائدةً من السماء ؟ ، و إذا لم يكونوا شاكين فما تفسير الآية ، أو ما معنى قولهم فيما حكى الله عنهم ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ؟ .

ذلك أن الشك في قدرة الله عزوجل أو إنكارها كفر ؛ إذ الإيمان بها هو من ضرورات الإيمان بالله تعالى و معرفته .

و لأهل العلم في هذه المسألة أقوال :

القول الأول :

قول من قال إن المراد من الآية ليس الشك في قدرة الله عزوجل .

و قد استدلوا على هذا بقراءة الكسائي : { هل تستطيعُ ربَّك } و هي قراءة جماعةٍ من الصحابة و التابعين منهم علي و ابن عباس و عائشة رضي الله عنهم .

و ممن قال بهذا القول عائشة رضي الله عنها ، و قد ذكر هذا عنها الطبري حيث قال : (حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا محمد بن بشر، عن نافع، عن ابن

عمر، عن ابن أبي مليكة قال : قالت عائشة: كان الحواريون لا يشكّون أن الله قادرٌ أن ينزل عليهم مائدة، ولكن قالوا: يا عيسى هل تَسْتطيعُ ربَّك؟)[١] .

و قال به سعيد بن جبير ، قال الطبري : (حدثني أحمد بن يوسف التَّغْلِبيّ قال ، حدثنا القاسم بن سلام قال ، حدثنا ابن مهدي، عن جابر بن يزيد بن رفاعة، عن حسّان بن مخارق، عن سعيد بن جبير: أنه قرأها كذلك:(هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ)، وقال: تستطيع أن تسأل ربّك. وقال: ألا ترى أنهم مؤمنون؟)[٢] .

و ممن قال بهذا القول البغوي رحمه الله حيث قال : (قرأ الكسائي "هل تستطيع" بالتاء "ربَّك" بنصب الباء وهو قراءة علي وعائشة وابن عباس ومجاهد، أي: هل تستطيع أن تدعو وتسأل ربك، وقرأ الآخرون "هل يستطيع" بالياء و "ربك" برفع الباء، ولم يقولوه شاكين في قدرة الله عز وجل، ولكن معناه: هل ينزل ربك أم لا؟ كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تنهض معي وهو يعلم أنه يستطيع، وإنما يريد هل يفعل ذلك أم لا وقيل: يستطيع بمعنى يطيع، يقال: أطاع واستطاع بمعنى واحد، كقولهم: أجاب واستجاب، معناه: هل يطيعك ربك بإجابة سؤالك؟ وفي الآثار من أطاع الله أطاعه الله)[٣] .

كما قال به أيضًا ابن عطية حيث قال : (و قرأ جمهور الناس « هل يستطيع ربُّك » بالياء ورفع الباء من ربك . وهي قراءة السبعة حاشا الكسائي ، وهذا ليس لأنهم شكوا في قدرة الله على هذا الأمر كامنة بمعنى هل يفعل تعالى هذا وهل تقع منه إجابة إليه؟ وهذا كما قال لعبد الله بن زيد هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ؟ فالمعنى هل يخف عليك وهل

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبري (٢١٩/١١) .

(٢) جامع البيان ، الطبري (٢١٩/١١) .

(٣) معالم التنزيل ، أبو محمد البغوي (١١٧/٣) .

تفعله؟ أما أن في اللفظة بشاعة بسببها قال عيسى { اتقوا الله إن كنتم مؤمنين } وبسببها مال فريق من الصحابة وغيرهم إلى غير هذه القراءة فقرأ علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير « هل تستطيع ربَّك » بالتاء ونصب الباء من ربك . المعنى هل تستطيع أن تسأل ربك؟ قالت عائشة رضي الله عنها : كان الحواريون أعرف بالله من أن يقولوا هل يستطيع ربك .

قال القاضي أبو محمد : نزهتهم عائشة عن بشاعة اللفظ وإلا فليس يلزمهم منه جهل بالله تعالى على ما قد تبين آنفاً . وبمثل هذه القراءة قرأ الكسائي وزاد أنه أدغم اللام في التاء . قال أبو علي : وذلك حسن ، و { أن } في قوله { أن ينزل } على هذه القراءة متعلقة بالمصدر المحذوف الذي هو سؤال . و { أن } مفعول به إذ هو في حكم المذكور في اللفظ وإن كان محذوفاً منه إذ لا يتم المعنى إلا به .

قال القاضي أبو محمد : وقد يمكن أن يستغنى عن تقدير سؤال على أن يكون المعنى هل يستطيع أن ينزل ربك بدعائك أو بأثرتك عنده ونحوه هذا ، فيردك المعنى ولا بد إلى مقدر يدل عليه ما ذكر من اللفظ ، ... وقول عيسى عليه السلام { اتقوا الله إن كنتم مؤمنين } تقرير لهم كما تقول افعل كذا وكذا إن كنت رجلاً ، ولا خلاف أحفظه في أن الحواريين كانوا مؤمنين ، وهذا هو ظاهر الآية)[١] .

كما قال به ابن كثير رحمه الله أيضًا حيث قال : (فقوله تعالى: { إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ } وهم أتباع عيسى عليه السلام: {يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي (٢/٢٥٩ – ٢٦٠) .

رَبُّكَ } هذه قراءة كثيرين، وقرأ آخرون: "هل تَسْتَطيع رَبَّك" أي: هل تستطيع أن تسأل ربك{أَنْ يُنزلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ}) [١].

و ممن قال به أيضا القاسمي حيث قال : (و ههنا قراءتان : الأولى : { يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ } بالياء على أنه فعل وفاعل و : { أَن يُنَزِّلَ } المفعول . والثانية – بالتاء و : { رَبَّكَ } نصب أي : سؤال ربك . فحذف المضاف . والمعنى : هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه ؟ وهي قراءة عليّ وعائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله عنه عنهم . وسعيد بن جبير والكسائي ، في آخرين .

قال أكثر المفسرين : الاستفهام على القراءة الأولى محمول على المجاز . إذا لا يسوغ لأحد أن يتوهم على الحواريين أنهم شكّوا في قدرة الله تعالى . لكنه كما يقول الرجل لصاحبه : هل تستطيع أن تقوم معي ؟ مع علمه بأنه يقدر على القيام ، مبالغة في التقاضي . وإنما قصد بقوله : [هَلْ تَسْتطيعُ] هل يسهل عليك ، وهل يخف أن تقوم معي ؟ فكذلك معنى الآية . لأن الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عزوجل و معترفين بكمال قدرته . و سؤالهم ليس لإزاحة شك ، بل ليحصل لهم مزيد الطمأنينة . كما قال إبراهيم عليه السلام : { وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي } [البقرة : ٢٦٠]   ولا شك أن مشاهدة هذه الآية العظيمة تورث مزيد الطمأنينة في القلب . ولهذا السبب قالوا : {وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا } وحاصله أن : { هَلْ يَسْتَطِيعُ } سؤال عن الفعل دون القدرة عليه ، تعبيراً عنه بلازمه . أو عن المسبب بسببه . وقيل المعنى : هل يطيع ربك ؟ أي : هل يستجيب دعوتك إذا دعوته ؟ (فيستطيع) بمعنى (يطيع) وهما بمعنى واحد . والسين زائدة .

---

(١)   تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير الدمشقي (٢٢٥/٣) .

كاستجاب وأجاب واستجب وأجب و (يطيع) بمعنى (يجيب) مجازاً ، لأن المجيب مطيع .

وذكر أبو شامة أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد أبا طالب في مرض . فقال له : يا ابن أخي ! ادع ربك أن يعافيني . فقال : اللهمّ ! اشف عمي . فقام كأنما نشط من عقال . فقال : يا ابن أخي ! إن ربك الذي تعبده ليطيعك . فقال يا عم ! وأنت لو أطعته لكان يطيعك أي : يجيبك لمقصودك . وحسنه في الحديث المشاكلة ، فظهر أن العرب استعملته بهذا المعنى)[١].

و هو القول الذي صححه ، ثم قال : (وعليه فمعنى : { اتَّقُواْ اللّهَ } من أمثال هذا السؤال، وأن توقفوا إيمانكم على رؤية المائدة : { إِن كُنتُم } به وبرسالتي : { مُّؤْمِنِينَ } فإن الإيمان مما يوجب التقوى والاجتناب عن أمثال هذه الاقتراحات)[٢].

و السعدي حيث قال : ({ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنزلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ } أي: مائدة فيها طعام، وهذا ليس منهم عن شك في قدرة الله، واستطاعته على ذلك. وإنما ذلك من باب العرض والأدب منهم)[٣] .

القول الثاني : قول من قال إن المراد من الآية الشك في قدرة الله عزوجل .

و هؤلاء اختلفوا على أقوال :

---

(١) محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي (٦ / ٢٢١٢ – ٢٢١٣) .

(٢) محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي (٦/٢٢١٤) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي (ص ٢٤٨) .

القول الأول: أن قائل ذلك هم الحواريون ، و ممن قال بهذا شيخ المفسرين الطبري رحمه الله حيث قال : (يقول تعالى ذكره : واذكر يا عيسى أيضا نعمتي عليك ، إذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي ، إذ قالوا لعيسى ابن مريم : هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء فـ {إذ} الثانية من صلة {أوحيت}.

واختلفت القراء في قراءة قوله : {يستطيع ربك} ، فقرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين : (هل تستطيع) بالتاء ، (ربك) بالنصب ، بمعنى : هل تستطيع أن تسأل ربك ، وهل تستطيع أن تدعو ربك ، أو هل تستطيع وترى أن تدعوه ؟ وقالوا : لم يكن الحواريون شاكين أن الله تعالى ذكره قادر أن ينزل عليهم ذلك ، وإنما قالوا لعيسى : هل تستطيع أنت ذلك ؟... وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والعراق : {هل يستطيع} بالياء {ربك} ، بمعنى أن ينزل علينا ربك ، كما يقول الرجل لصاحبه : أتستطيع أن تنهض معنا في كذا ؟ وهو يعلم أنه يستطيع ، ولكنه إنما يريد : أتنهض معنا فيه ؟ وقد يجوز أن يكون مراد قارئه كذلك : هل يستجيب لك ربك ويطيعك أن تنزل علينا؟.

وأولى القراءتين عندي بالصواب قراءة من قرأ ذلك : {هل يستطيع} بالياء {ربك} برفع الرب ، بمعنى : هل يستجيب لك إن سألته ذلك ويطيعك فيه ؟

وإنما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب لما بينا قبل من أن قوله : {إذ قال الحواريون} من صلة {إذ أوحيت} ، وأن معنى الكلام : وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي {إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك} ، فبين إذ كان ذلك كذلك ، أن الله تعالى ذكره قد كره منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه ، وأمرهم بالتوبة ومراجعة الإيمان من قيلهم ذلك ، والإقرار لله بالقدرة

على كل شيء ، وتصديق رسوله فيما أخبرهم عن ربهم من الأخبار . وقد قال عيسى لهم عند قيلهم ذلك له استعظاما منه لما قالوا : {اتقوا الله إن كنتم مؤمنين} ، ففي استتابة الله إياهم ، ودعائه لهم إلى الإيمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم عند قيلهم ما قالوا من ذلك ، واستعظام نبي الله صلى الله عليه وسلم كلمتهم ، الدلالة الكافية من غيرها على صحة القراءة في ذلك بالياء ورفع الرب ، إذ كان لا معنى في قولهم لعيسى لو كانوا قالوا له : هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ أن تستكبر هذا الاستكبار.

فإن ظن ظان أن قولهم ذلك له إنما هو استعظام منهم ، لأن ذلك منهم كان مسألة آية ، فإن الآية إنما يسألها الأنبياء من كان بها مكذبا ، ليتقرر عنده حقيقة ثبوتها وصحة أمرها ، كما كانت مسألة قريش نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحول لهم الصفا ذهبا ، ويفجر فجاج مكة أنهارا من سأله من مشركي قومه ، وكما كانت مسألة صالح الناقة من مكذبي قومه ، ومسألة شعيب أن يسقط كسفا من السماء من كفار من أرسل إليهم.

وكان الذين سألوا عيسى أن يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء ، على هذا الوجه كانت مسألتهم ، فقد أحلهم الذين قرءوا ذلك بالتاء ونصب الرب محلا أعظم من المحل الذي ظنوا أنهم نزهوا ربهم عنه ، أو يكونوا سألوا ذلك عيسى وهم موقنون بأنه لله نبي مبعوث ورسول مرسل، وأن الله تعالى على ما سألوا من ذلك قادر.

فإن كانوا سألوا ذلك وهم كذلك ، وإنما كانت مسألتهم إياه ذلك على نحو ما يسأل أحدهم نبيه ، إذا كان فقيرا أن يسأل له ربه أن يغنيه ، وإن عرضت به حاجة أن يسأل له ربه أن يقضيها ، فأنى ذلك من مسألة الآية في شيء ؟ بل ذلك سؤال ذي حاجة عرضت له إلى ربه ، فسأل نبيه مسألة ربه أن يقضيها له.

وخبر الله تعالى عن القوم ينبئ بخلاف ذلك ، وذلك أنهم قالوا لعيسى ، إذ قال لهم : {اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا} ، فقد أنبأ هذا من قيلهم أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدقهم ، ولا اطمأنت قلوبهم إلى حقيقة نبوته ، فلا بيان أبين من هذا الكلام في أن القوم كانوا قد خالط قلوبهم مرض وشك في دينهم وتصديق رسولهم، وأنهم سألوا ما سألوا من ذلك اختبارا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل... وأما قوله : {قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين} ، فإنه يعني : قال عيسى للحواريين القائلين له : {هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء} : راقبوا الله أيها القوم ، وخافوا أن ينزل بكم من الله عقوبة على قولكم هذا ، فإن الله لا يعجزه شيء أراده ، وفي شككم في قدرة الله على إنزال مائدة من السماء كفر به ، فاتقوا الله أن ينزل بكم نقمته. {إن كنتم مؤمنين} ، يقول : إن كنتم مصدقي على ما أتوعدكم به من عقوبة الله إياكم على قولكم : {هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء})(١) .

و ممن قال به الزمخشري حيث قال : (فإن قلت : كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد إيمانهم وإخلاصهم ؟ قلت : ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص ، وإنما حكى ادعاءهم لهما ، ثم أتبعه قوله : (إذ قال) فإذن إن دعواهم كانت باطلة ، وإنهم كانوا شاكين ، وقوله : (هل يستطيع ربك) كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم ، وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه : اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ، ولا تقترحوا عليه ، ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها إن كنتم مؤمنين إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة)(٢) .

---

(١) جامع البيان . الطبري (١٩ / ١١٧ – ١٢٢) .

(٢) الكشاف . الزمخشري (١ / ٦٩٢– ٦٩٣) .

القول الثاني: أن القائل لذلك هم الحواريون لكن كان هذا منهم في أول الأمر قبل استحكام الإيمان و المعرفة في قلوبهم ، و حكى هذا القول البغوي حيث قال : (وأجرى بعضهم على الظاهر فقالوا: غلط القوم، وقالوه قبل استحكام المعرفة وكانوا بشرا، فقال لهم عيسى عليه السلام عند الغلط، استعظاما لقولهم { اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } أي: لا تشكّوا في قدرته.

... ، { قَالَ } عيسى عليه السلام مجيبا لهم: { اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } فلا تشكّوا في قدرته، وقيل: اتقوا الله أن تسألوه شيئا لم يسأله الأمم قبلكم، فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان) [١] .

كما حكاه ابن عطية فقال : (وقال قوم قال الحواريون هذه المقالة في صدر الأمر قبل علمهم بأنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ويظهر من قوله عليه السلام { اتقوا الله } إنكار لقولهم ذلك ، وذلك على قراءة من قرأ « يستطيع » بالياء من أسفل متوجه على أمرين : أحدهما : بشاعة اللفظ ، والآخر إنكار طلب الآيات والتعرض إلى سخط الله بها والنبوات ليست مبنية على أن تتعنت وأما على القراءة الأخرى فلم ينكر عليهم إلا الاقتراح وقلة طمأنينتهم إلى ما قد ظهر من آياته)[٢] .

وحكاه الخازن فقال : (وقال بعضهم : هو على ظاهره . وقال : غلط القوم وقالوا ذلك قبل استحكام الإيمان والمعرفة في قلوبهم . وكانوا بشراً ، فقالوا هذه المقالة . فرد عليهم غلطهم بقوله : { قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } يعني اتقوا الله أن تشكّوا في قدرته .)[٣] .

---

(١) معالم التنزيل ، البغوي (٣/١١٧) .

(٢) المحرر الوجيز ، ابن عطية (٢/٣٧٠-٣٧١) .

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل ، الخازن (٢/١١٠) .

القول الثالث: أن القائلين لذلك ليسوا الحواريين، و إنما هم أناس معهم ، و هذا القول قال به القرطبي و استحسنه حيث قال : (قوله تعالى: إِذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ على ما تقدم من الاعراب." هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ". قراءة الكسائي وعلي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد" هل تستطيع" بالتاء" ربك" بالنصب. وأدغم الكسائي اللام من" هَلْ" في التاء. وقرا الباقون بالياء،" رَبُّكَ" بالرفع، وهذه القراءة أشكل من الاولى، فقال السدي: المعنى هل يطيعك ربك إن سألته" أَنْ يُنَزِّلَ" فيستطيع بمعنى يطيع، كما قالوا: استجاب بمعنى أجاب، وكذلك استطاع بمعنى أطاع. وقيل المعنى: هل يقدر ربك وكان هذا السؤال في ابتداء أمرهم قبل استحكام معرفتهم بالله عز وجل، ولهذا قال عيسى في الجواب عند غلطهم وتجويزهم على الله ما لا يجوز:" اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" أي لا تشكوا في قدرة الله تعالى. قلت: وهذا فيه نظر، لأن الحواريين خلصان الأنبياء ودخلاؤهم وأنصارهم كما قال: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾الصف: ١٤. وقال عليه السلام: [لكل نبي حواري وحواري الزبير] ومعلوم أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جاءوا بمعرفة الله تعالى وما يجب له وما يجوز وما يستحيل عليه وأن يبلغوا ذلك أممهم، فكيف يخفى ذلك على من باطنهم واختص بهم حتى يجهلوا قدرة الله تعالى؟ إلا أنه يجوز أن يقال: إن ذلك صدر ممن كان معهم، كما قال بعض جهال الاعراب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، وكما قال من قال من قوم موسى:﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾الأعراف: ١٣٨ على ما يأتي بيانه في" الأعراف" إن شاء الله تعالى)[1] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (٦ / ٣٦٤ – ٣٦٥) .

ثم قال بعد أن ذكر تأويلات من قال بأنهم لم يكونوا شاكين في قدرة الله تعالى بأن هذا تأويل حسن ، ثم قال : (وأحسن منه أن ذلك كان من قول من كان مع الحواريين)[١].

القول الرابع : يرى أن الآية تفيد الشك في القدرة و لكن ليس في قدرة الله لأن المقصود بالرب هنا جبريل عليه السلام و حكى هذا الرازي حيث قال : (لعلّ المراد بالرب هو جبريل عليه السلام لأنه كان يربيه ويخصه بأنواع الإعانة ولذلك قال تعالى في أول الآية[٢] { إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ } (المائدة ١١٠) يعني أنك تدعي أنه يربيك ويخصك بأنواع الكرامة فهل يقدر على إنزال مائدة من السماء عليك) [٣].

والقول الراجح في ذلك : القول الأول و هو أنه ليس المراد من الآية الشك في قدرة الله تعالى و إنما هي كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع أن تقوم معي مع علمه أنه يستطيع ، أو بمعنى هل يستجيب لك ربك لأن استجابة الدعاء للأنبياء ليس حتما و إنما هي مرهونة بإرادة الله عزوجل، كما قال الله تبارك و تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم حين دعا على قبائل من العرب : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾آل عمران: ١٢٨ [٤].

وهذا هو الجمع المناسب بين هذه الآية و ما ثبت في آيات أخرى من شهادة الله عزوجل للحواريين بالإيمان و الثناء عليهم في مثل قوله تبارك و تعالى :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (٦ / ٣٦٤ – ٣٦٥) .

(٢) بل الآيات .

(٣) التفسير الكبير ، الرازي (١٢ / ١٠٨) .

(٤) جامع البيان ، الطبري (٧ / ٢٠١ – ٢٠٢) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾ الصف: ١٤ .

كما أنه تدل عليه القراءة الأخرى للآية و هي : { هل تستطيع ربَّك } ، و هذه القراءة لا تحتمل الشك في قدرة الله عزوجل و إنما طلب عيسى عليه السلام أن يسأل الله لهم ذلك على ما ذكره أهل العلم .

كما أنه لو كانت الآية على الشك في قدرة الله لكان رد عيسى عليه الصلاة و السلام عليهم شديدا كما كان رد موسى عليه السلام على قومه لما قالوا ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠ ﴾ الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠ ، فكان يناسب شكهم أن يؤنبهم و يؤكد لهم أن الله على كل شيء قدير ، و لكنه اكتفى عليه الصلاة و السلام بأن قال لهم : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢ ﴾ المائدة: ١١٢ ، و في هذا تذكير لهم بوجوب لزوم التقوى إن كان سؤالهم على وجه طلب الآية التي هم محتاجون إليها ، و هذا مثل قول الصحابة للنبي صلى الله عليه و سلم لما زاد عليهم أذى المشركين فيما رواه البخاري قال : (حدثني محمد بن الْمُثَنَّى حدثنا يحيى عن إِسْمَاعِيلَ حدثنا قَيْسٌ عن خَبَّابِ بن الْأَرَتِّ قال شَكَوْنَا إلى رسول اللَّهِ ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا له ألا تَسْتَنْصِرُ لنا ألا تَدْعُو اللَّهَ لنا قال كان الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرض فَيُجْعَلُ فيه فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ على رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وما يَصُدُّهُ ذلك عن دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ من عَظْمٍ أو عَصَبٍ وما يَصُدُّهُ ذلك عن دِينِهِ والله لَيُتِمَّنَّ هذا الْأَمْرَ

حتى يَسِيرَ الرَّاكِبُ من صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إلا اللَّهَ أو الذِّئْبَ على غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)[١] .

فلذا كان هذا هو القول الراجح ، و الله أعلم .

المسألة الثانية :

هل كان الحواريون شاكين في صدق عيسى عليه السلام و نبوته ؟ و إن لم يكن فما معنى {ونعلم أن قد صدقتنا } ؟

و للعلماء في هذه المسألة قولان بناء على قول الله تعالى : ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّٰهِدِينَ ١١٣ ﴾ المائدة: ١١٣ .

القول الأول : قول من يرى أن معنى الآية ليس على الشك في النبوة وإنما الطلب لزيادة الإيمان و اليقين .

و قد قال بهذا القول البغوي حيث قال : ({ وَتَطْمَئِنَّ } وتسكن، { قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا } بأنك رسول الله، أي: نزداد إيمانا ويقينا)[٢].

و به قال الرازي حيث قال ضمن ما ذكره من دواعي طلب الحواريين للمائدة : (و ثالثها أنا وإن علمنا بسائر المعجزات صدقك ولكن إذا شاهدنا هذه المعجزة ازداد اليقين والعرفان وتأكدت الطمأنينة)[٣] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٣٢٢/٣) .

(٢) معالم التنزيل ، البغوي (١١٨/٣) .

(٣) التفسير الكبير ، الرازي (١٢ / ١٠٩) .

و قال به ابن كثير رحمه الله أيضًا فقال : ({ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا } إذا شاهدنا نزولها رزقًا لنا من السماء { وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا } أي: ونزداد إيمانًا بك وعلمًا برسالتك)[١] .

كما قال به ابن عاشور حيث قال : (ونعلم أن قد صدقتنا (، أي نعلم علم ضرورة لا علم استدلال فيحصل لهم العلمان)[٢] .

وكذلك قال السِّعدي : ({ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } فإن المؤمن يحمله ما معه من الإيمان على ملازمة التقوى، وأن ينقاد لأمر الله، ولا يطلب من آيات الاقتراح التي لا يدري ما يكون بعدها شيئا.

فأخبر الحواريون أنهم ليس مقصودهم هذا المعنى، وإنما لهم مقاصد صالحة، ولأجل الحاجة إلى ذلك فـ { قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا } وهذا دليل على أنهم محتاجون لها، { وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا } بالإيمان حين نرى الآيات العيانية، فيكون الإيمان عين اليقين، كما كان قبل ذلك علم اليقين. كما سأل الخليل عليه الصلاة والسلام ربه أن يريه كيف يحيي الموتى { قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي } فالعبد محتاج إلى زيادة العلم واليقين والإيمان كل وقت، ولهذا قال: { وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا } أي: نعلم صدق ما جئت به أنه حق وصدق، { وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ } فتكون مصلحة لمن بعدنا، نشهدها لك، فتقوم الحجة، ويحصل زيادة البرهان بذلك.)[٣] .

القول الثاني: قول من يرى أن معنى الآية الشك في النبوة فطلبوا الآية تثبيتًا لإيمانهم بنبوة عيسى عليه السلام .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣ / ٢٢٥) .

(٢) التحرير و التنوير ، ابن عاشور (٧ / ١٠٦ – ١٠٧) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي (ص ٢٤٨) .

و بهذا قال الطبري حيث قال : ({ونعلم أن قد صدقتنا} ، ونعلم أنك لم تكذبنا في خبرك أنك لله رسول مرسل ، ونبي مبعوث)[١].

والقرطبي فيما يظهر يعزوه إلى أناس كانوا مع الحواريين كما سبق ، حيث قال : (وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنا"بأنك رسول الله" وَنَكُونَ عَلَيْها مِنَ الشَّاهِدِينَ" لله بالوحدانية، ولك بالرسالة والنبوة. وقيل:" وَنَكُونَ عَلَيْها مِنَ الشَّاهِدِينَ" لك عند من لم يرها إذا رجعنا إليهم.)[٢] .

والقول الراجح و الله أعلم هو القول الأول لصراحة الآية التي ذكرها الله عزوجل في الحواريين قبلها مباشرةً و هي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ المائدة: ١١١ ، فنص الله عزوجل في الآية على الإيمان بعيسى عليه السلام رسولا من عند الله ، و ليس هذا فقط من قولهم ، و إنما قد نص الله عزوجل على أنه قد قذف ذلك في قلوبهم منة منه سبحانه و تعالى عليهم و على المسيح عليه الصلاة و السلام .

(١) جامع البيان ، الطبري (٩ / ١٢٢ – ١٢٣) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (٦ / ٣٦٦ – ٣٦٧) .

المبحث الثاني : مسائل عقدية أخرى في الآيتين .

١- إثبات صفة العلو لله تعالى :

و ذلك يستفاد من قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ المائدة: ١١٢، و النزول إنما هو من علوٍّ أو من أعلى إلى أسفل فهذا هو المعقول عند جميع الأمم من معنى النزول[١].

و هذه الصفة ثابتة لله تعالى بآيات و أحاديث أصرح من هذه الآية منها:

١- قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ آل عمران: ٥٥ .

٢ – قوله تعالى : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ النساء: ١٥٨,

٣ – قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ فاطر: ١٠,

٤ – قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ غافر: ٣٦ ـ ٣٧ غافر: ٣٦

---

(١) ينظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي (ص ١٨٦) .

٥ – قوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾الملك: ١٦ - ١٧

٦ – عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يقول من يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ له من يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ من يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ له)) [١].

ففي الأدلة السابقة التصريح بكونه تعالى في السماء ، وبالرفع إليه ، و الرافع لا يكون إلا إلى أعلى، و التصريح بنزوله تعالى كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر و النزول لايكون إلا من أعلى إلى أسفل ، فدلالتها صريحةٌ على علو الله تعالى[٢] .

وهنا مسألة قد يعترض بها بعض الناس بأن الآية ليس فيها نص بأن المائدة نزلت من عند الله و إنما من السماء ، و الجواب عن ذلك أن النص على أن الله في السماء أي في العلو قد ورد في آياتٍ أخرى ، مثل قوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾الملك: ١٦ – ١٧ ، كما أنه لم يذكر

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٨٤/١) .

(٢) و قد توسع في ذكر أدلة العلو الإمام ابن القيم في كتابه الصواعق المرسلة ، الجزء الرابع ، و أفرد الإمام الذهبي لذلك كتابًا سماه العلو .

أحد من الناس أن الله تبارك و تعالى في الأرض أو في الشرق أو الغرب ، و إنما هي ثلاثة أقوال :

١ – قول أنه في العلو سبحانه و تعالى .

٢ – قول ينفي أن يكون له جهة أو مكان .

٣ – و قول يقول بأنه في كل مكان .

و القولان الأخيران باطلان فإن لازمهما العدم و نفي وجود الله تعالى ، فلم يبق إلا أنه في العلو ، و الآية صريحة في أن المطلوب نزول المائدة من السماء ، فمعنى ذلك أنها من عند الله عزوجل ، و المقصود بالسماء العلو .

٢– دلائل النبوة في الآيات:

في الآية دليل على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ، و كذلك دليل على نبوة عيسى عليه الصلاة و السلام .

أولا : الدليل على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم من الآيات :

إن الآيات فيها دليل واضح على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم من ناحية أنها من أخبار الأمم الماضية ، و ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا بوحي من الله عزوجل ، فهذا التفصيل الوارد في قصة عيسى عليه السلام هنا مثل الأخبار الواردة في قصص الأنبياء و عموم الأمم الماضية ، لا يمكن للنبي صلى الله عليه و سلم أن يعرفها تفصيلا ، و إن كان قد يعرف بعضها إجمالا ، و هذه القصة التي فيها تفصيل ما جرى بين الحواريين و المسيح عيسى عليه الصلاة و السلام لا يمكن أن يعرفها النبي صلى الله عليه و سلم بدون الوحي، خاصة أن هذه القصة لم ترد في أناجيل النصارى التي حكوا فيها حياة المسيح عيسى عليه الصلاة و

السلام[١]، فلم يبق إلا أن تكون من خبر الله عزوجل، أو من عند النبي صلى الله عليه و سلم ، و لا يمكن أن يفتريها النبي صلى الله عليه و سلم بحال و هو الموصوف بالصادق الأمين ، فلم يكن ليترك الكذب على الناس ثم يكذب على الله عزوجل ، حاشاه عليه الصلاة و السلام.

و قد يعترض البعض على أن قصة المائدة لم تذكر في أناجيل النصارى بما ورد في الإصحاح الرابع عشر من إنجيل متى – كما ذهب إليه عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء حيث قال بعد ذكره لما ورد في الإصحاح المذكور : (و هنا أقول إن هذه المسألة هي مسألة المائدة السماوية ، و معنى كونها سماوية أن الله تعالى بارك في الطعام بطريقة غير معروفة و لا مألوفة . و قد حكيت في القرآن بقوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾المائدة: ١١٢ – ١١٥ و هنا اختلف المفسرون فقال بعضهم أنها نزلت ، و أن الذين كفروا بعيسى بعد الأكل من المائدة مسخوا خنازير تحقيقًا

---

(١) و قد ذكر هذا ابن كثير في تفسيره (٣ / ٢٢٥) حيث قال : (وقد ذكر بعض الأئمة أن قصة المائدة ليست مذكورة

في الإنجيل، ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين، فالله أعلم) .

لقوله تعالى : ﴿أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾المائدة: ١١٥ و قال آخرون إن المائدة لم تنزل إذ لم ينص القرآن على نزولها بالفعل ، و إن الطالبين للمائدة لم يطلبوها بعد أن اشترط الله تعذيب من كفر بعد نزولها تعذيبًا شديدًا فخشوا أن يحيق بهم العذاب . و أنا أكرر القول أن مسألة المائدة هي مسألة الأرغفة الخمسة و السمكتين ، و المراد بإنزالها عليهم أن يرزقهم الله الطعام الكثير من حيث لا يحتسبون)[١].

والحقيقة أن ما في هذا الإصحاح الرابع عشر مختلفٌ عما جاء في القرآن الكريم من قصة المائدة حيث أن ما جاء فيه نصه كما يلي : (فلما سمع يسوع انصرف من هناك في سفينةٍ إلى موضعٍ خلاءٍ منفردًا ، فسمع الجموع و تبعوه مشاةً من المدن .

فلما خرج يسوع أبصر جمعًا كثيرًا فتحنن عليهم و شفى مرضاهم . و لما صار المساء تقدم إليه تلاميذه قائلين : ((الموضع خلاءٌ و الوقت قد مضى ، اصرف الجموع لكي يمضوا إلى القرى و يبتاعوا لهم طعامًا)). فقال لهم يسوع : ((لا حاجة لهم أن يمضوا . أعطوهم أنتم ليأكلوا)) ، فقالوا له : ((ليس عندنا ههنا إلا خمسة أرغفة و سمكتان)) فقال : ((ائتوني بها إلى هنا)) . فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب ، ثم أخذ الأرغفة الخمسة و السمكتين ، و رفع نظره نحو السماء و بارك و كسَّر و أعطى الأرغفة للتلاميذ ، و التلاميذ للجموع . فأكل الجميع و شبعوا . ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنتي عشرة قفة مملوءة . و الآكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل ، ما عدا النساء و الأولاد)[٢].

---

(١) قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار (ص ٤١٢ – ٤١٩) .

(٢) إنجيل متى ، الإصحاح الرابع عشر ، الفقرات ١٣ – ٢١ .

وفرق ٌبين أن يكون الطعام نازلاً من عند الله سواءً قيل إنه من السماء أو من الجنة و بين أن يكون الطعام موجودًا بين أيديهم و يبارك الله فيه ، فضلاً عن بقية تفاصيل القصة من سؤالهم عيسى عليه السلام أن يدعو الله أن ينزل عليهم مائدةً من السماء و ما قاله لهم عيسى عليه السلام من حثٍّ على التقوى ، و تعليلهم الطلب ، فكل هذا لا ذكر له في ما رود في هذا الإصحاح و الفرق بيِّنٌ بين الأمرين .

وعلى ذلك فلا حجة فيه و لا مستمسك للنصارى و لا غيرهم في أن قصة المائدة مذكورةٌ في أناجيلهم ، و إلا فهو قولٌ متكلَّف لا تدعمه الأدلة .

و ماذكره النجار هو من جنس تكثير الطعام و الذي وقع لنبينا ﷺ في مواطن كثيرة .

ثانيًا : الدليل على نبوة عيسى عليه السلام من الآيات :

إن الآية فيها دليل على نبوة عيسى عليه السلام ، و هذا صريحٌ في طلب الآية ، سواء قلنا إنها لزيادة الإيمان أو للتصديق بالرسالة ، و سواء قلنا أنها نزلت أو لم تنزل ، فإنها إن نزلت فهي دليل واضح على النبوة إذ أنه ليس في مقدور البشر الإتيان بمائدة من السماء بحال من الأحوال ، فلم يبق إلا أن تكون من فعل الله عزوجل وحده ، إذ أن المعجزات هي من فعل الله عزوجل ، و ليست من قبل الأنبياء عليهم الصلاة و السلام أنفسهم و لا من قدراتهم و طاقاتهم ، فتكون دليلا واضحا على النبوة بل هي أصرح الأدلة و أوضحها في الدلالة على صدق الرسالة و صدق المرسل بها أن و قوعها مرتبط بدعوى النبوة .

٣ – هل نزلت المائدة أم لم تنزل ؟ .

اختلف في نزول المائدة على قولين :

١ – أنها نزلت ثم رفعت بعد ذلك بأحداثٍ أحدثوها بينهم و بين الله .

٢- أنها لم تنزل .

و قد حكى هذا الخلاف ابن جرير الطبري رحمه الله ، و روى جملةً من الأقوال في ذلك لكلا القولين ، من ذلك ما رُوي عن النبي صلى الله عليه و سلم حيث قال : (حدثنا الحسن بن قزعة البصري قال ، حدثنا سفيان بن حبيب قال ، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن خلاس بن عمرو، عن عمار بن ياسر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نزلت المائدة خبزًا ولحمًا، وأُمروا أن لا يخونوا ولا يدَّخروا ولا يرفعوا لغدٍ، فخانوا وادّخروا ورفعوا، فمسخوا قردة وخنازير)[١] .

ومن ذلك ما رواه عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما ممن قال بنزول المائدة حيث قال : (حدثني محمد بن سعد قال ، حدثني أبي قال ، حدثني عمي قال ، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال : نزلت على عيسى ابن مريم والحواريين، خِوانٌ عليه خبز وسمك، يأكلون منه أينما نزلوا إذا شاؤوا)[٢].

و ما رواه عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما حيث قال : (حدثنا المثنى قال ، حدثنا عبد الأعلى قال ، حدثنا داود، عن سماك بن حرب، عن رجل من بني عجل قال: صليت إلى جنب عَمار بن ياسر، فلما فرغ قال : هل تدري كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل؟ قال فقلت: لا! قال: إنهم سألوا عيسى ابن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد. قال : فقيل لهم: فإنها مقيمة لكم ما لم تخبئوا، أو تخونوا، أو ترفعوا، فإن فعلتم فإنّي أعذبكم عذابًا لا أعذّبه أحدا من العالمين! قال: فما تمّ يومهم حتى خبئوا ورَفعوا وخانوا، فعذبوا عذابًا لم يعذبه أحد من العالمين. وإنكم معشر العرب، كنتم تتّبعون أذنابَ الإبل والشاء، فبعث الله فيكم رسولا من أنفسكم، تعرفون حسبه ونسبه، وأخبركم على لسان نبيكم أنكم

---

(١) جامع البيان ، الطبري (١١/ ٢٢٨ – ٢٢٩) .

(٢) جامع البيان ، الطبري (١١/ ٢٢٧) .

ستظهارون على العرَب، ونهاكم أن تكنزوا الذهبَ والفضة. وايمُ الله. لا يذهبُ الليلُ والنهارُ حتى تكنزوهما، ويعذِّبكم عذابًا أليمًا)[١].

و أخبر عن اختلاف من ذهبوا إلى أن الله لم ينزل على بني إسرائيل مائدةً على قولين :

١ – أن الله لم ينزل مائدةً عليهم و إنما هذا مثلٌ ضربه الله لخلقه ، لنهيهم به عن مسألة نبي الله الآيات .

٢ – أنهم لما قال الله تعالى لهم : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ المائدة: ١١٥ استعفوا من ذلك فلم تنزل .

وذكر جملةً من أقوال من ذهب إلى ذلك على كلا القولين ، منها ما رواه عن مجاهد ممن قال بالقول الأول حيث قال : (حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا يحيى بن آدم، عن شريك،عن ليث، عن مجاهد في قوله:"أنزل علينا مائدة من السماء" ، قال: مثل ضُرب، لم ينزل عليهم شيء)[٢] .

و عن أصحاب القول الثاني قال : (حدثنا ابن المثنى قال ، حدثنا محمد بن جعفر قال ، حدثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن الحسن: أنه قال في المائدة: لم تنزل)[٣] .

والقول الراجح في ذلك هو نزول المائدة و قد ذهب إلى ذلك ابن جرير رحمه الله و رجحه فقال : (و الصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألتَه ذلك ربَّه .

---

(١) جامع البيان ، الطبري (١١/ ٢٢٨) .

(٢) جامع البيان ، الطبري (١١/ ٢٣١) .

(٣) جامع البيان ، الطبري (١١/ ٢٣١) .

وإنما قلنا ذلك للخبر الذي روينا بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم، غير من انفرد بما ذكرنا عنه.

وبعدُ، فإن الله تعالى ذكره لا يخلف وعدَه، ولا يقع في خبره الخُلف، وقد قال تعالى ذكره مخبرًا في كتابه عن إجابة نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم حين سأله ما سأله من ذلك: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾المائدة: ١١٥ وغير جائز أن يقول تعالى ذكره: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ ثم لا ينزلها، لأن ذلك منه تعالى ذكره خبر، ولا يكون منه خلاف ما يخبر. ولو جاز أن يقول:"إني منزلها عليكم"، ثم لا ينزلها عليهم، جاز أن يقول:"فمن يكفر بعد منكم فإنّي أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين" ، ثم يكفر منهم بعد ذلك، فلا يعذّبه، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة. وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى ذكره بذلك)[١] .

و به قال ابن كثيرٍ رحمه الله حيث قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ المائدة: ١١٤ - ١١٥ : (هذه قصة المائدة ، وإليها تنسب السورة فيقال: "سورة المائدة". وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى عليه السلام لما أجاب دعاءه بنزولها ، فأنزلها الله آية ودلالة معجزة باهرة وحجة قاطعة)[٢] .

(١) جامع البيان ، الطبري (١١/ ٢٣١ -٢٣٢) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٢٢٥/٣) .

وهذا القول – أي القول بنزولها – هو الذي دل عليه ظاهر القرآن و أكثر الآثار ، كما قال ابن كثير رحمه الله : (و كل هذه الآثار دالة على أن المائدة نزلت على بني إسرائيل، أيام عيسى ابن مريم، إجابة من الله لدعوته، وكما دل على ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾المائدة: ١١٥ الآية)[١].

وهو الذي عليه أكثر المفسرين ، كما حكى ذلك القرطبي حيث قال : (فالذي عليه الجمهور– وهو الحق– نزولها لقوله تعالى:﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾)[٢] ، و كذلك الرازي حيث قال: (وقال الجمهور الأعظم من المفسرين أنها نزلت لأنه تعالى قال ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾وهذا وعدٌ بالإنزال جزماً من غير تعليق على شرط فوجب حصول هذا النزول)[٣].

٤ – هل المائدة من السماء أم من الجنة ؟

حكى القرطبي ما ورد من القول في هل المائدة كانت من طعام الجنة أم لا فقال : (فقال شمعون وهو رأس الحواريين– يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى صلوات الله عليه: (أما افترقتم بعد عن هذه المسائل ما أخوفني أن تعذبوا) ، فقال شمعون: وإله بني إسرائيل ما أردت بذلك سوءا فقالوا: يا روح الله لو كان مع هذه الآية آية أخرى قال عيسى عليه السلام:] يا سمكة احيي بإذن الله [فاضطربت السمكة طرية تبص عيناها، ففزع الحواريون فقال عيسى:] ما لي أراكم تسألون عن الشيء فإذا أعطيتموه كرهتموه ما أخوفني أن

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٢٣٠/٣) .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (٣٦٩/٦) .
(٣) التفسير الكبير ، الرازي (١٢ / ١١٠) .

تعذبوا [وقال:] لقد نزلت من السماء وما عليها طعام من الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شي ابتدعه الله بالقدرة البالغة)[١] .

ثم قال : (قلت: في هذا الحديث مقال ولا يصح من قبل إسناده. وعن ابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي كان طعام المائدة خبزا وسمكا وقال ابن عطية: كانوا يجدون في السمك طيب كله طعام، وذكره الثعلبي. وقال عمار بن ياسر وقتادة: كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمار من ثمار الجنة. وقال وهب بن منبه: أنزله الله تعالى أقرصة من شعير وحيتانا. وخرج الترمذي في أبواب التفسير عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:] أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وأمروا ألا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير [قال أبو عيسى: هذا حديث قد رواه أبو عاصم وغير واحد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن خلاس عن عمار بن ياسر موقوفا ولا نعرفه مرفوعا إلا من حديث الحسن بن قزعة حدثنا حميد بن مسعدة قال حدثنا سفيان بن حبيب عن سعيد بن أبي عروبة نحوه ولم يرفعه، وهذا أصح من حديث الحسن بن قزعة ولا نعلم للحديث المرفوع أصلا. وقال سعيد بن جبير: أنزل على المائدة كل شي إلا الخبز واللحم. وقال عطاء: نزل عليها كل شي إلا السمك واللحم. وقال كعب: نزلت المائدة منكوسة من السماء تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل طعام إلا اللحم. قلت: هذه الثلاثة أقوال مخالفة لحديث الترمذي وهو أولى منها، لأنه إن لم يصح مرفوعا فصح موقوفا عن صحابي كبير والله أعلم)[٢].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (٦/٣٧٠ – ٣٧١) . و ينظر كذلك : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣/٢٢٩– ٢٣٠) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (٦ / ٣٧٢) . و ينظر كذلك : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (٣/٢٢٩

ثم ذكر المقطوع به في ذلك فقال : (والمقطوع به أنها نزلت وكان عليها طعام يؤكل والله أعلم بتعيينه)[١].

و هو المهم في المسألة إذ كونها من الجنة أو غير ذلك لا يضر الجهل به و لا يترتب عليه عمل ، فليس من مهمات المسائل .

٥ – إثبات بشرية عيسى عليه السلام و أنه ليس بإله :

ففي الآية الكريمة إشارةٌ لبشرية عيسى عليه السلام ونفي ألوهيته وذلك من وجهين:

أولهما: قولهم (يا عيسى بن مريم) فنسبوه لأمه ولم ينسبوه إلى الله .

ثانيهما: قولهم (هل يستطيع ربك) ، ولو كان إلها لقالوا له هل تستطيع، وقولهم (ربك) فيه دلالة على أنه مربوب وعبد للرب.

ثم إن قول عيسى عليه السلام في طلبه المائدة من الله: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا﴾ المائدة: ١١٤ نفي لإلهيته وتأكيد واضح لبشريته وأنه عبد مربوب[٢].

وهذا بخلاف ما يعتقده النصارى في عيسى عليه السلام و يدعونه له مما لا يقر به هو عليه السلام و لا يرضاه منهم .

من نتائج البحث :

١- أن الإشكال المتوهم في التعارض بين ما ذُكر من ثناءٍ على الحواريين و إقرارٍ منهم بالإيمان و الإسلام في بعض الآيات مع ما ورد في آية سورة المائدة من

– ٢٣٠) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (٦ / ٣٧٢) .

(٢) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، محمد ملكاوي (ص ٢٠٧) .

سؤالهم عيسىٰ عليه السلام الذي يتوهم منه شكهم في قدرة الله تعالىٰ مرفوعٌ بأن المراد بهذا هل يستجيب لك ربك أو هل يطيعك ربك فيفعل هذا ، أو هل تستطيع أن تدعو ربك و تسأله هذا ، أو هو سؤالٌ لا يراد منه الشك و إنما هو كسؤال أحدنا للآخر هل تستطيع أن تفعل كذا و هو يعلم أنه يستطيع، و علىٰ ذلك فلا تعارض و لا إشكال .

٢- أن الإشكال المتوهم في التعارض بين ما ذُكر من ثناءٍ علىٰ الحواريين و إقرارٍ منهم بالإيمان و الإسلام في بعض الآيات مع ما ورد في آية سورة المائدة مما يُفهم منه شكهم في نبوة عيسىٰ عليه السلام مرفوعٌ بأن طلبهم إنما كان لزيادة الإيمان و الطمأنينة كما كان سؤال إبراهيم عليه السلام لله تعالىٰ أن يريه كيف يحيي الموتىٰ .

٣- أن الله عزوجل قد من بإنزال المائدة بدعاء عيسىٰ عليه السلام فكانت دليلًا من دلائل نبوته عليه السلام .

٤- أن في هاتين الآيتين دليلاً من دلائل نبوة نبينا محمد صلىٰ الله عليه و سلم بإخباره عن قصة المائدة و التي كانت فيمن قبلنا بتفاصيل ليست موجودة أصلًا عند النصارىٰ .

٥- أن قصة المائدة إنما يعرفها النصارىٰ من المسلمين حيث ذكرت في القرآن الكريم ، و ليست في أناجيلهم ، و قال بعض العلماء بأنها لعلها كانت مما نسوه كما حكىٰ الله عنهم : ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ المائدة: ١٤ .

٦- أن ما يعترض به البعض مما ورد في إنجيل متىٰ ليس هو قصة المائدة التي وردت في القرآن الكريم ففرق ٌبين أن يكون الطعام نازلاً من عند الله سواءً قيل إنه من السماء أو من الجنة و بين أن يكون الطعام موجودًا بين أيديهم و يبارك الله

فيه ، فضلاً عن بقية تفاصيل القصة فكل هذا لا ذكر له في ما رود في هذا الإصحاح و الفرق بيّنٌ بين الأمرين .

هذا و الله أعلم ، و صلى الله على نبينا محمد و على آله وصحبه وسلم .

فهرس المصادر و المراجع

- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ) ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة .
- التفسير الكبير ، محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م ، الطبعة : الأولى .
- جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى : ٣١٠هـ) ، مؤسسة الرسالة – ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : أحمد محمد شاكر .
- الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د.مصطفى ديب البغا .
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ) ، دار الكتب المصرية – القاهرة – ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش .
- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، ابن أبي العز الحنفي ، وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، تحقيق : أحمد محمد شاكر .
- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي ، مكتبة دار الزمان – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، الطبعة: الأولى .

- قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة : الثالثة .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (٤٦٧ . ٥٣٨ هـ) ، دار الكتاب العربي . بيروت – ١٤٠٧هـ .
- لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر – بيروت / لبنان – ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م .
- محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، دار إحياء الكتب العربية – ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م ، الطبعة : الأولى ، علق عليه و خرج أحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي .
- المحرر الوجيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى : ٥٤٢هـ) ، دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م ، الطبعة: الأولى، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد .
- معالم التنزيل ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى : ٥١٠هـ) ، دار طيبة للنشر والتوزيع – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م ، الطبعة : الرابعة ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش .
- المعجزات و الغيبيات بين بصائر التنزيل و دياجير الإنكار و التأويل ، عبد الفتاح إبراهيم سلامة، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية العدد ٤٧ – ٤٨ .